الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع الكردي ... — القاهرة — التليفون رقم : ٤٢٩٩٢/ ٥٦٦٩١

العدد ٢٥٨	الثلاثاء ٩ من ذي الحجة سنة ١٣٦٢ — ٧ من ديسمبر سنة ١٩٤٣	السنة الخامسة

فهرس العـــدد

إصـــلاح التعليم في مصر

للدكتور أحمد زكي بك

هذا عنوان التقرير الذي كتبه وزير المعارف الحالي حضرة صاحب المعالي أحمد نجيب الهلالي باشا ، ورسم فيه الخطة التي يرى أن تنتهجها الحكومة المصرية ، بوصفه عضواً من أعضائها ، في سياسة تعليمها .

وقد كان التقليد أن ترى الحكومات رأيها في أمر الإصلاح ، في التعليم كان هذا أو في غير التعليم ، ثم تضمنه خطاب العرش ، ثم تطلقه يوم افتتاح البرلمان كما تطلق القوانين ، فلا يصيبها من تعديل أو تغيير إلا ما قد تصيبه المعارضة من ذلك ، وهو شيء قليل .

وقد رأى وزير المعارف الحالي أن يتبع الطريق الأكثر ديمقراطية ، والأعون على التمحيص ، والأكفل لما تنشده المشورة من خير ، فنشر آراءه على الملأ ، وصاح في الناس هل من دارس ناقد . فكان حقاً على كل سامع قادر أن يستجيب إلى هذا النداء ، وأن يدلي بدلوه في الملأ ، ليس فقط لأن كل دعوة كريمة لابد لها من مجيب ، بل كذلك لتثبيت هذا التقليد الديمقراطي ، ولابد أن الأمة جديرة بأن تستشار ، وآراؤها في حلبة الآراء ليست بذات خطر . على أن هذه الدعوة ليست كلها كرماً ، وربما كان للمستشير أن يطلب الرأي ويشكره ، فهو قد رأى بعين واحدة من زاوية قد تكون بحكم الوضع واحدة ، وهو يريد أن يستعير أعيناً أخرى في مواضع أخرى يرجو أن تكون بصيرة . فعلى الأمة ، وعلى ذوي الآراء ، أن تبر أبناءها متكرمة عن وزرها ، والتبيع على أنفسها ، وحسبُ الوزير ، بعد هذا الكرم اقتضاءً الديمقراطية ، أن لم تفته المصافحة ، ولم يفته الفخر بأنه في الطليعة من رجال الحكم الحديثين الذين يعرفون في هذا الجمهور حقه ، ويقدرون رأيه .

وليس هذا التقرير بأول تقرير لوزير المعارف ، فهو من أرباب السبق والسوابق في هذا المضمار ، فهو أول من استن سنة التقرير والنشر قبل التقنين والإنفاذ . فتقريره

الأول من التعليم ، وقد كتبه منذ سنوات خمس أو ست ، لا يزال طابعه ظاهراً في نظام التعليم الحاضر . فنظام التوجيهية الحالي ، وما سبق سنة التوجيهية في التعليم الثانوي من إلغاء ، وما تضمنته هذه السنة من تفريع ، إنما هو أثر من آثار ذلك التقرير الأول .

ولست أقول إنه أثر كله خير ، ولكني أقول إنه الأثر الأول البارز ، أو هو من الآثار الأولى البارزة التي أثبتت أن جو المعارف الراكد البارد ليس من خلق الطبيعة ، وأنه ليس سرمدياً كأحوال الأقاليم ، وأنه يمكن لتلك الحجرات الواسعة العالية المسقوفة المثلوجة أن يخلصها من الجمد لو دخلها موقد ذو نار .

ولست أكتب هنا لأبدأ نقاش التقرير ، فإنما أنا أقرؤه وأستعرضه ، وللكتاب من بعد هذا أن يحاوروا ويداوروا ، وأن يجيبوا في استجلاء الطريق الأقوم الذي يجب أن تسلكه قوافلنا إلى [illegible] .

والتقرير فيه طول ، وفيه [illegible] من تسعين صفحة ، تتضمن نحواً من ٣٥ ألف كلمة . أي أنه شمل مسائل عدة من مسائل التعليم ، وشملها مساحة لا عمقاً . فالعمق تركه عمداً وتصريحاً لأهل الفن في الوزارة . وهو عمق كأعماق البحار ، أغوارها الأولى ينفذ إليها نور الشمس ، ثم هي تستحيل بعد ذلك إلى ظلمات بعضها فوق بعض . فنسأل الله لأهل الفن السلامة .

لقد مسح الوزير بحار التعليم مسحاً ، وترك الأعماق لأهل الفن ، ولكنه كان مسحاً شاملاً متسعاً . وكان أحب البحار إليه المحيط الأطلسي ، فأخذ يتردد بين شاطئيه على بعد ما بينهما من شقة ، فآناً مغرباً يستوحي آراء الولايات المتحدة في التعليم ، وآناً مشرقاً يستوحي آراء بريطانيا فيما اعتزمته من إصلاح . وحقاً مسح عند المنارة من الإسكندرية ، ولكنه لم يلبث عندها طويلا .

بدأ الوزير تقريره بصفحات عدة يشرح فيها ما اعتزمته الأمم الديمقراطية — أو إن شئت الأمثال الديمقراطيات — بعد الحرب من إصلاح في التعليم . وهم قد استمدوا فكرة الإصلاح من الحرب الحاضرة ، ومن الديمقراطية ، ومن الحريات الأربع التي كفلتها تصريحات روزفلت وتشرشل في ميثاق الأطلسي ، ومن النظام الجديد لبناء عالم جديد تسوده راحة البال واطمئنان الأنفس ، فيسوده من جراء ذلك سلام ثابت دائم مقيم . فقد أجمع البحاث أن لا إصلاح إلا بنشر مبادئ الديمقراطية ، وأن لا ديمقراطية لا تستند على أساس راسخ من التعليم الصحيح . ولن يكون تطبيق مبادئ الديمقراطية — على ما يلتمسون — في أمة دون أمة ، بل في الأمم جميعاً . والأصول التعليمية التي توجبها الديمقراطية هي التي ستتعاهد عليها الأمم ، وترتبط عليها ميثاقاً في النظام الدولي الجديد . وقد كان هم الأمم بالأمس [illegible] أن ترى الأمم المستضعفة على [illegible] الغلبة ، أما الآن فقد اعتقدت [illegible] وحدة لا تتجزأ ، وأن خير الأمم جميعاً ، حتى كبارها ، لا في نشر الجهل والفقر ، بل في نشر العلم وتنمية موارد الأمم جميعاً لصالح الأمم جميعاً . حتى ذهبوا في هذا إلى أن واجب الأمة الغنية أن تنفق بعض ما تنفق على نشر الثقافة في الأمم التي تأخرت .

فأنت ترى أن التعليم ، كغيره من المرافق ، سيكون موضع تعاون بين الأمم ، وموضع اهتمام الأمم حتى في غير أممها . والتعليم إذن سائر إلى شيء كثير من التوحيد . وهو توحيد يجاري خطى المدنية إلى التوحد عند الأمم جميعاً . وهذا أمر لا ارتياب فيه إلا حريص على قبور الموتى ولو أضرت بمنازل الأحياء .

من أجل هذا اتجه الوزير إلى الغرب يطلب مثله في حسم وفي غير إبهام . فاستند إلى لجنة « نوروود » ، والكتاب الأبيض الإنكليزي ، وجامعة نيويورك ، وجمعية

التعليم الثانوي في أمريكا، والأستاذ «دنت» في إنجلترا. وكلهم يقول، وكلها أسانيد لا تُدفع، إن هذا التطبيق يُوسِّع هنا، ويُضيِّق هناك، ويُطيل هنا، ويقصّر هناك، ولكنه يفعل هذا فعل الرجل الذي يُوسِّع سرواله الفرنجي ليستطيع به الركوع والسجود.

وانتقل التقرير من بعد هذا إلى ما يخشاه البعض من تعطل ينشأ عن توسع في التعليم العام، وآمنهم من خوفهم بأن التعليم المهني الذي يطلبون، من مختلف زواياه، لا يؤتي ثمره إلا إذا هو استند على أساس راسخ من التعليم العام.

وانتقل التقرير إلى الإصلاح الذي ينشده المربيون في التعليم، فقال إنهم يرسمون فيخطون [illegible]. أما العامل فيريده في مدة الدراسة، في الإلزامي للصغار، والتعليم للشباب، والتكميلي للكبار، أي أنهم يرمون إلى أن يكون تعليمهم من المهد إلى [illegible] التعليم حتى يشمل طبقات الأمة جميعاً. وأما [illegible] التعليم في نوعه ومادته.

ثم تأتي مشكلات التعليم فيما بعد الحرب، فيتناول التقرير مشكلات أوروبا ومشكلات مصر، ويوضح أن مشكلات مصر أقل وأيسر. فمصر لم تُخرَّب مدارسها بالقنابل، ولم يُقتل ويؤسر ويمت جوعاً عشرون في المائة من مدرسيها كما حدث في بعض الأمم. ولكن فداحة واجبها في بناء هذه المدارس التي لم تهدمها الحرب لأنها لم تُبنَ، وثقل واجبها في تكوين هؤلاء المدرسين الذين لا يقتلون ولا يؤسرون لأنهم لا يوجدون.

ثم ينتقل التقرير إلى الشكوى من التعليم، فيثبت أنها شكوى عالمية. ويقتبس مما قاله نقاد الغرب في ذلك، فإذا بك تراهم يشكون مما نشكو. واسمع لمن يقولون فتخال أنهم إنما ينقدون التعليم في مصر، لا في انجلترا أو في الولايات المتحدة. ولا يعجب أحد من ذلك، فتعليمنا كشاكلتنا، تتحقق فيهما كليهما ما يحققون، فيشتكي كما اشتكوا، ونضل كما ضلوا.

بعد هذا يكشف التقرير عن أثمن ما فيه، عن فكرة هي درة العقد الوسطى، أو هي القلب من الجسم، أو هي الصالة الكبرى من الدار توسطتها وتفرعت منها سائر الحجرات. تلك فكرة: التكافؤ في الفرص.

وفي هذا يقول التقرير: «إن على الدولة أن تسوي بين جميع طبقات الأمة فيما تتيح لهم من فرص التعليم. وإن هذه المساواة في التعليم بين أبناء الشعب فرض لازم على كل حكومة تريد أن تحقق لكل فرد من أفرادها أمتها كرامة الإنسان الحر. فالمبدأ الأساسي التضامن [illegible] القائم على الحرية والمساواة والعدالة يوجب أن [illegible] الجميع في العدالة، وأن تتهيأ الفرصة لكل فرد من أفراد الأمة. وما دام واجباً على كل فرد أن يبذل للأمة أقصى [illegible] ونفسه، فليس كثيراً أن تفرض [illegible] أن تكفل له أقل ما عندها من غير تمييز بين طبقة وطبقة، ودون نظر إلى الفقر والغنى، أو الذكورة والأنوثة، أو السن، أو العقيدة الدينية، أو المذهب السياسي».

تبسّم أيها القارئ، واعلم أن هذا القول الجليل يقال لأول مرة في مصر بهذا الحزم وهذا الحسم وهذا الوضوح، ثم اشكر الحوادث أن أتاحت لمصر الفرصة أن يقوم فيها رجل مسئول من أبنائها، ينادي بهذا الذي ينادي فلا يُكمَّم فوه، ولا يجري وراء عربة السجان دونه.

ويخرج التقرير من هذه الفكرة، بل من هذا الدستور التعليمي الثوري الشامل، إلى أفكار وتوصيات أراها كلها له تبعاً.

فمن إلغاء الفروقات في التعليم الابتدائي والثانوي، إلى تيسير التعليم العالي، إلى إطالة التعليم الإلزامي، إلى مدارس الحضانة للأطفال الصغار، إلى مدارس التعليم

للكبار ، وإلى التغذية في المدارس ، كل هذه وأمثالها إن هي إلا تطبيقات لتكافؤ الفرص للجميع دون النظر إلى فقير أو غني ، أو عقيدة دينية أو أخرى سياسية.

واحتاط التقرير فجعل لهذه المساواة حدوداً لا تخرج بها إلى معنى السخف . من ذلك أنه نوّع التعليم ، لا سيما الثانوي ، وعدّد صوره ، وكافأ بينها ، ولكنه جعل التحول إليها مبنياً على استعداد الفرد وعلى حاجة الإقليم .

وبعد ، فليس يغني أن يتحدث متحدث عن المرء كهذا في صفحات ثلاث ، فعلى القارئ أن يقتنيه ، وعلى وزارة المعارف أن تسهل اقتناءه ، وعلى ذوي الرأي ، من أهل الحكومة وأهل المعارضة ، بل من أهل المعارضة أولاً ثم من أهل الحكومة ، أن يدرسوه عن قرب ... فحسبك سجلا لسياسة إن صحّت ... التعليم المصري جيل ، أو بعض جيل ... والسياسة التي تعقد في التعليم ... وإن هي ضلّت فقلقلة عظيمة من سوء الحظ ألا يدرك أثرها في النشء يوم .

إني لم أعرض التقرير بنقد ، ولا يحسبن حاسب أنه ليس فيه للنقد مواضع ومواضع . والشيء ألا تكون في التقرير مواضع للنقد ، إذن لكان بداية مما لا يحتاج إلى تقرير . وإنما هذا استعراض خاطف ، وتحية واجبة لرجل مسئول مشغول ، استطاع رغم التبعة والشغلة أن يتوفر على الدرس في أوقات قد تكون أحق بالراحة من عناء . وتحية أخرى : أن لغة التقرير جمعت بين السهولة والرصانة ، فهو مؤلَّف في قمة الأدب بأسلوب الأديب المتمكن ، مما فيه كاتبه منحى غير الذي عوّدنا إياه في « عالم الفقاط ومصائد القرآن » .

أحمد زكي

سابقة تاريخية

كتب حضرة الأستاذ السيد شفيق جبري في العدد الأخير من مجلة الثقافة كلمة تحت عنوان : « العبرة بالساعد لا بالسيف » ، روى فيها عن الفخري : (أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن معد يكرب أن يبعث إليه بسيفه المعروف بالصمصامة ، فبعث به إليه ، فلما ضرب به وجده دون ما كان يبلغه عنه ، فكتب إليه في ذلك فرد عليه : إنما بعثت إلى أمير المؤمنين بالسيف ولم أبعث إليه بالساعد الذي يضرب به) .

وهذه الحادثة في تاريخ العرب لها سابقة في تاريخ آل عثمان ، ذلك أنه :

في القرن الخامس عشر ، وفي زمن السلطان محمد الثاني المشهور بالفاتح (سمي بالفاتح لأنه هو الذي فتح القسطنطينية ... مقر الخلافة) اشتهر إسكندر ... شدة بأسه وقوة عضلاته ، ... وكان الأرناؤود والترك يضربون به المثل في البطولة والإقدام ، ويشبهونه بهرقل البطل الخرافي المشهور . كثيراً ما اشتعلت الحرب بين الترك والأرناؤود فكان إسكندر بك يسير برجاله الأرناؤود ويقاتل الترك ويفتك بهم ، ويقال إنه انتصر في عشرين موقعة أو تزيد . وكان لإسكندر باشا سيف مشهور ضرب به يعقوب باشا أحد قواد الترك فشطر جسمه شطرين ! وضرب به حيدر باشا فشق جسمه وتركه شقاً . ولما تهادن الترك والأرناؤود سمع السلطان محمد الثاني خبر هذا السيف فطلب من إسكندر بك أن يهديه إليه فأرسله إليه . ولما أراد السلطان اختباره رآه سيفاً عادياً ولم يجد فيه شيئاً خارقاً للعادة فرده إلى صاحبه . ولما وصل رسول السلطان إلى إسكندر بك رد إليه السيف وقال : إن السلطان وجده دون ما كان يبلغه عنه . فابتسم إسكندر بك وقال للرسول أخبر مولاك : (أن السر ليس في السيف وإنما السر في الساعد) .

عزة طاهر

زعماء الإصلاح الإسلامي في القرن التاسع عشر

٢ - محمد بن عبد الوهاب

كانت جزيرة العرب عند ظهور دعوة محمد بن عبد الوهاب دعوته — التي شرحناها في العدد الماضي — أشبه شيء بحالها في الجاهلية ، لكل قبيلة تسكن موضعاً رأسها أمير منها ؛ هذا أمير في الأحساء ، وهذا أمير في القصيم ، وهؤلاء أمراء في نجد إلخ ، ولا علاقة بين الأمير والأمير إلا علاقة الخصومة غالباً . ثم تجزّئها — أيضاً — الخصومة بين البدو والحضر ، فمن قدر من البدو على خطف شيء من الحضر فعل ، ومن قدر من الحضر على التنكيل بعدو فعل ، والطرق غير مأمونة ، والسلب والنهب على أشدهما . وسلطة الخلافة في الآستانة تكاد تكون [illegible] سيطرة الأشراف في مكة وامتداد نفوذهم [illegible]

أقام أولاً محمد بن عبد الوهاب يدعو دعوته [illegible] — في أمن ودعة بين عشيرته ، ثم أخذ يرسل الدعوة لأمراء الحجاز والعلماء في الأقطار الأخرى ، عاملاً على استنهاض الهمم في مكافحة البدع والرجوع إلى الإسلام الصحيح .

كم من المصلحين دعوا مثل هذه الدعوة ، ولكنها مرت بسلام ، ولم تلق إلا شيئاً من تجريح الداعي أو التشهير به ، ورميه بالكفر أو الزندقة ، ثم ينتهي الأمر ويعود الناس سيرتهم الأولى ؛ فقد رأينا من قام بمثل هذه الدعوة في المغرب كالشيخ أبي العباس التيجاني ، فقد أمر بترك البدع ونهى عن زيارة القبور ، وكثرت أتباعه حتى بلغت مئات الألوف ، ولكن لم يلتفت الناس والحكام إليه كما التفتوا لمحمد بن عبد الوهاب ؛ وكذلك الشيخ محمد عبده دعا مثل هذه الدعوة ، فأعجب به بعضهم وأنكر عليه بعضهم ، ثم أسدل الستار .

السبب في هذا ما أحاط بالدعوة الوهابية من ظروف لم تتهيأ لغيرها .

فقد اضطُهد في بلده العيينة ، واضطر أن يخرج منها إلى الدرعية مقر آل سعود ؛ وهناك عرض دعوته على أميرها محمد بن سعود فقبلها ، وتعاهدا على الدفاع عن الدين الصحيح ومحاربة البدع ، ونشر الدعوة في جميع جزيرة العرب باللسان عند من يقبلها ، وبالسيف عند من لم يقبلها ؛ وبذلك دخلت الدعوة في دور عملي ، وهو اجتماع السيف واللسان . وزاد الأمر خطورة نجاح الدعوة شيئاً فشيئاً ، ودخول الناس أفواجاً فيها ، واصطباغ بعض الأمراء بالقوة الحركية ، وكلما فتحوا بلداً أزالوا البدع وأقاموا تعاليمهم ، حتى عمت الحركة كل جزيرة العرب . ولما مات الأمير ومات الشيخ تعاهد أبناء الأمير وأبناء الشيخ على أن [illegible] نصرة الدعوة متكافلين ، وظلوا [illegible] مكة والمدينة .

[illegible] شعرت الدولة العثمانية بالخطر يهددها بخروج الحجاز من يدها ، وهو موطن الحرمين الشريفين اللذين يجعلان لها مركزاً إسلامياً ممتازاً ، تفقد الكثير منه إذا فقدتهما .

فأرسل السلطان محمود إلى محمد علي باشا في مصر أن يسيّر جيوشه لمقاتلة الوهابيين ؛ وكما أرسلت الجيوش لقتالهم أرسلت الدعاية من جميع الأقطار الإسلامية للنيل من هذه الدعوة وتكفير معتنقيها ، وحمل علماء المسلمين عليها حملات منكرة ، وألفت الكتب الكثيرة في التحذير منها والتشنيع عليها .

وهكذا حدثت الحرب بالسيف والحرب بالكلام ، كل هذا جعل الدعوة الوهابية تلفت الأنظار إليها ، وتدور على كل لسان . وزاد في شأنها أن الوهابيين انتصروا على حملة محمد علي باشا الأولى بقيادة الأمير طوسون .

ثم أعد محمد علي باشا الحملة الثانية القوية الكبيرة ، وسار

بمدفعه وحاربهم حتى خلا لهم ضلالة ، فانتصر عليهم ، وأتم النصر ابنه إبراهيم باشا ، وانهزمت قوة الوهابيين ؛ ولكن عادت الدعوة إلى أن حيّت ثانياً في العهد الحاضر للمملكة السعودية الحاضرة في تاريخ طويل لا يعنينا هنا ، وإنما يعنينا الدعوة وما تم لها .

على أن الدعاية التي أحكمت ضدها ، وتملق الناس للدولة العثمانية ، وميلهم الشديد أن تظل بلادها وحدة لا ينفصل عنها جزء ، جعلت عامة المسلمين في أقطار العالم الإسلامي يفزعون من كلمة الوهابية ، ولو لم يفهموا جوهر دعوتها .

وشيء آخر كان كبير الأثر في تنفير عامة المسلمين من هذه الحركة ، وهو أنها حيث استولت على بلد نفذت تعاليمها بالقوة ولم تنتظر حتى يؤمن الناس بدعوتها ؛ فلما دخلوا مكة هدموا كثيراً من القباب الأثرية كقبة السيدة خديجة ، وقبة مولد النبي (ص) ، ومولد أبي بكر وعلي ، ولما دخلوا المدينة جردوا بعض الحلي [illegible] التي كانت على قبر الرسول ؛ فهذه كلها أثارت غضب كثير من المسلمين وجرحت عواطفهم ؛ فمنهم من حزن على ضياع معالم التاريخ ، ومنهم من حزن على الفن الإسلامي وكيف يُزال ، ومنهم من حزن لأن مقبرة الرسول (ص) وتحفها مظهر للعاطفة الإسلامية وقوة الدولة ؛ وهكذا اختلفت الأسباب واشتركوا في الغضب ، والوهابيون لم يقصدوا إلا إزالة البدع والرجوع بالدين إلى أصله .

لقد اهتموا بالناحية الدينية وتقوية العقيدة ، وبالناحية الخلقية كما صوّرها الدين ، ولذلك حيث سادوا قلّت السرقة والفجور وشرب الخمور وأمن الطريق وما إلى ذلك ؛ ولكنهم لم يمسوا الحياة العقلية ولم يعملوا على رقيها إلا في دائرة التعليم الديني ، ولم ينظروا نظرة ما إلى المدنية الحاضرة ومطالبها . وكان كثير منهم يرون أن ما عداهم من الأقطار الإسلامية التي تنتشر فيها البدع ليست ممالك إسلامية ، وأن دارهم دار جهاد ؛ فلما تولت حكومة ابن سعود الحاضرة كان لابد أن تواجه الظروف الحاضرة ، وتقف أمام منطق الحوادث ، ورأت نفسها أمام موقفين حرجين لا معدى لها عن مسايرتهما : قوة رجال الدين في نجد المتمسكين أشد التمسك بتعاليم ابن عبد الوهاب والمتشددين أمام كل جديد فكانوا يرون أن التلغراف السلكي واللاسلكي والسيارات والمخترعات من البدع التي لا يرضى عنها الدين ، وقوة التيار المدني الذي يتطلب نظام الحكم فيه كثيراً من وسائل المدنية الحديثة كما يتطلب المسالمة والمداراة ، فاختطت لنفسها طريقاً وسطاً بين القوتين ، فقد عدلت نظرها إلى الأقطار الإسلامية الأخرى وعدتهم مسلمين ، وبذلت [illegible] التعليم الذي بجانب التعليم الديني ، ونظم الإدارة الحكومية على النمط الحديث ، وتسمح بالسيارات والتلغراف واللاسلكي بدخول البلاد والاستعمال وما إلى ذلك [illegible] التوفيق بين علماء نجد ومقتضيات [illegible] الحضارة .

* * *

لم تقتصر الدعوة الوهابية على الحجاز والجزيرة العربية ، بل تعدتها إلى غيرها من كثير من الأقطار الإسلامية ، وكان موسم الحج ميداناً صالحاً وفرصة سانحة لعرض الدعوة على أنظار الحجاج واستمالتهم إلى فهمها ، فإذا عادوا إلى بلادهم دعوا إليها [illegible] ترى في رجال طائفة كبيرة من المسلمين يعتنقون هذا المذهب ، ويدعون إلى ترك البدع ، وعدم التقرب بالأولياء .

وقام في الهند زعيم وهابي اسمه السيد أحمد ، حج سنة ١٨٢٢ م ، وهناك آمن بالمذهب الوهابي وعاد إلى بلاده ينشر هذه الدعوة في بنجاب وأنشأ بها شبه دولة وهابية ، وأخذ سلطانه يمتد حتى هدّد شمال الهند ، وأقام حرباً عواناً على البدع والخرافات ، وهاجم الوعاظ ورجال الدين هناك ،

وأعلن الجهاد ضد من لم يعتنق مذهبه ويقبل دعوته ، وأن الهند دار حرب ؛ ولقيت الحكومة الإنجليزية متاعب كثيرة شاقة من أتباعه حتى استطاعت إخضاعهم .

وكذلك حضر الإمام السنوسي مكة حاجاً ، وسمع الدعوة الوهابية واعتنقها ، وعاد إلى الجزائر يبشر بها ، ويؤسس طريقته الخاصة في بلاد المغرب كما سيأتي بيانه .

وفي اليمن ظهر أعظم دعاتها ، وإمام أئمته وهو الإمام الشوكاني المولود سنة ١١٧٣ ، فسار على نفس هذا النهج ، وإن لم يتلقه من ابن عبد الوهاب ، وألف كتابه القيم « نيل الأوطار » شارحا فيه كتاب ابن تيمية « منتقى الأخبار » عارضاً الأحاديث النبوية ، مجتهداً في فهمها ، مجتهداً في استنباط الأحكام الشرعية منها ولو خالف المذاهب الأربعة كلها ؛ وحارب التقليد ودعا إلى الاجتهاد ؛ ومن أجل ذلك حورب حرباً شعواء [illegible] وعن علماء [illegible] كان أشدها في صنعاء ، وألف في [illegible] القيد في حكم التقليد » ؛ ودعا في [illegible] القبور والتوسل بها ، فقال في نيل الأوطار [illegible] بحرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام ، (منها) اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام ، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر ، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج ، وملجأ لنجاح المطالب ، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم ، وشدوا إليها الرحال ، وتمسحوا بها واستغاثوا ، وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

« ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب لله ، ويغار حمية للدين الحنيف لا عالماً ولا متعلماً ، ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً ، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه يمين من قبل خصمه حلف بالله فاجراً ، فإذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تلعثم وتلكأ ، وأبى واعترف بالحق ؛ وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال إنه تعالى ثاني اثنين وثالث ثلاثة .

« فيا علماء الدين ، ويا ملوك المسلمين أي رزء للإسلام أشد من الكفر ، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله ، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ، وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك المبين ؟ » . وقد مات الإمام الشوكاني سنة ١٢٥٠ بعد أن أبلى في هذا بلاء عظيما ، وخلف تلاميذ كثيرة يدينون برأيه .

وفي مصر نشأ الشيخ محمد عبده فرأى تعاليم ابن عبد الوهاب تلاقي هوى ، فرجع إلى هذه التعاليم في أصولها [illegible] ابن تيمية ، إلى محمد ابن عبد الوهاب ؛ [illegible] في حياة المسلمين بعمل صالح ، [illegible] إلى نفس الأساسين اللذين بني عليهما محمد بن عبد الوهاب تعاليمه وهما : (١) محاربة البدع وما دخل على العقيدة الإسلامية من عبادة الأشراك مع الله تعالى الأولياء والقبور والأضرحة ، و (٢) فتح باب الاجتهاد الذي أغلقه ضعاف العقول من المقلدين ؛ وجرّ عليه لعنة هذين الأمرين ؛ ولكنه امتاز بمزية كبرى تحسن عداه ، وهي ثقافته الواسعة الدينية والدنيوية ، ومعرفته بشؤون الدنيا وأسسها وتياراتها ؛ وذلك بتربيته الدينية الأولى المستمرة ، وباتصاله في الأمور السياسية واطلاعه على الثقافة الفرنسية ، ورحلاته إلى أوربا يخالط علماءها وفلاسفتها وساستها . فلما تعرض لمثل ما تعرض له ابن عبد الوهاب تلطف الدعوة ، وركزها على أسس نفسية واجتماعية ، كما شارك في تركيزها على الأسس الدينية ؛ من دروسه في التفسير التي كان يلقيها في الرواق العباسي بالأزهر ، وكان يشهر كل إشارة لآية ولو من بعيد [illegible]

(١) جزء ٣ ص ٢٢٤ من الطبعة الأميرية .

بالشرك فيمعن في الحملة على عبادة الصالحين ، وزيارة القبور والشفاعة والتوسل وما إلى ذلك ، فيطيل الوقوف — مثلاً — عند قوله تعالى : « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب » ، فيقسم الشيخ الأنداد إلى قسمين هؤلاء الشفعاء الذين اتخذهم الناس وسيلة تقربهم من الله يستعطفونهم في الحوائج ، وهؤلاء الذين يقلدون في الدين ويتخذ قولهم شرعاً من غير حجة ولا برهان . وتظهر فلسفته المذهب في بيان الأضرار النفسية من هذه العقائد ، فهي تورث الذل وتخضع الناس للحكام الظالمين ، وتحط بالنفوس إلى الدرك الأسفل ، ثم هي تصرف اعتمادها ويعتمد الناس على هؤلاء الأولياء بتركهم النواميس الطبيعية التي جعلها الله أسباباً لابد منها لحصول المسببات ، فإن [illegible] إنما تنجح الحرث بالتسميد [illegible] والحرب إنما تكسب باتخاذ سلاح أشد من سلاح العدو ، وإعداد العدة الكاملة كما أمر الله ، لا بالاستعانة بأهل القبور ؛ وفضيلة القرآن [illegible] كله بالله [illegible] أن تثبت قلبه ، ويلهمه التوفيق . وهكذا كان يمعن في هدم الأساليب [illegible] آراء من يقول بالتوسل والشفاعة والتقليد .

وينتهز فرصة وجود جماعة من الفقهاء عنده في يوم مولد ، ودعوته للعشاء فيتأخر المحتفلين ، فيبين لهم أن عادة الموالد كلها منكرات ، ويشير أن يصرف ما يصرف في الموالد على إطعام الفقراء ، ويناظرهم في ذلك مناظرة تنتهي بانصراف الفقهاء إلى العشاء في المولد ، وامتناع الشيخ وحده .

ووضع الشيخ تفسيراً آخر لآية الفاتحة فيلتمس كل وسيلة للحملة على كل ما يشوب التوحيد من شرك بعبادة المشايخ والقبور والأضرحة والتبرك ، راجياً أن ينشأ الشباب نشأة دينية صحيحة خيراً مما عليه آباؤهم — وأعانه في هذه السبيل تلميذه وصديقه السيد محمد رشيد رضا في مجلة المنار ، فقد ملأها كذلك بمثل هذه الدعوة ، ومثل هذه الحجج يسمع بها المسلمون في جميع الأقطار الإسلامية .

وفي تركيا قامت الحكومة التركية الكمالية بمحاربة هذه البدع والخرافات ، فأغلقت التكايا وكانت عش التضليل ، وطاردت المشايخ ، واضطهدت الدراويش ؛ ولكن الفرق بين هذه الحركة وما قبلها أن كل الحركات السابقة كانت مؤسسة على الدين والإصلاح الديني ، والرجوع إلى الأصول الدينية ، أما هذه الحركة فمؤسسة على العقل المطلق ، وفكرة الإصلاح الاجتماعي من غير أن يكون الوازع عليها الرغبة في الإصلاح الديني .

* * *

وأخيراً قد مضى على هذه الدعوة الإصلاحية من عهد محمد بن عبد الوهاب إلى الآن عشرات السنين ، واشترك في تنظيم الدعوة عشرات من الأبطال ، فماذا كانت النتيجة ؟ [illegible] في جميع الأقطار الإسلامية [illegible] في قضاء الحوائج إلى المشايخ والقبور والأضرحة ، وظلت الموالد كما كانت بالاحتفال بها [illegible] زينتها ورونقها ، وإنما تأثر بهذه الدعوة الخاصة أو خاصة الخاصة ، كما تأثر بها ناشئة الشباب المثقفين بحكم ثقافتهم ونوع تعليمهم ، فلم يلجئوا إلى الزيارات والمذابح كما كان يلجأ آباؤهم ، ولكني أخشى ألا يكون كثير منهم يلجأ إلى الله أيضاً كما كان يلجأ آباؤهم . والآن ننتقل إلى نوع آخر من الإصلاح ، كان مظهره مدحت باشا في تركيا ، وهو موضوع المقال الآتي إن شاء الله .

أحمد أمين

استدراك

ورد في المقال السابق أن وفاة محمد بن عبد الوهاب كانت سنة ١٧٠١ وهو خطأ مطبعي صوابه سنة ١٧٩١

العناصر الأوربية

في دولة سلاطين مصر

إنه لحديث عجيب ذلك الذي يسوقه إلينا السائحون الأجانب، الذين وفدوا على مصر في القرون الوسطى، وكانت مصر ذات الرأس الأشهب بحيث من أرضها سحراً يجذب إليها الأفئدة. وقد كانت دائماً تجتذب رواد أهل الغرب وأهل الشرق على السواء؛ وقد خلف كثير من هؤلاء الرواد كتباً دوّنوا فيها قصص رحلاتهم يصفون فيها عجائب البلاد التي رأوها، وغرائب ما شهدوا فيها من نظم وعادات ومناظر؛ وكان يحلو لهم أن يصفوا جيوشها وسلاطينها، ورسوم دولتها، ومواكبها الرائعة، وأسرار قصورها العالية الأسوار؛ وقد دوّنوا في تلك القصص كثيراً من الأخبار نراها اليوم فتكشف لنا الستار عن كثير مما كان يخفى على المعاصرين من أهل البلاد ... تفيدنا اليوم في البحث التاريخي، لأنها تكشف لنا عن الحقائق الخفية التي كان لها أثر عظيم في توجيه بعض الحوادث التاريخية.

ومن تلك الحقائق التي كشفها هؤلاء السائحون، أن دولة سلاطين المماليك كانت تضم في صفوف جيوشها عدداً عظيماً من الأوربيين من مختلف الشعوب والأجناس، وأن من هؤلاء المماليك الأوربيين من سموا إلى أعلى المراتب، وصارت إليهم مناصب الإمارة؛ بل إن منهم من ارتقى العرش سلطاناً لمصر، وكان كثير منهم يحتفظ سراً بديانته المسيحية في حين كانوا أمام الناس مسلمين يتروحون الصلوات ويعظمون شعائر دينه. وكثيراً ما كان هؤلاء الجنود الأوربيون يساعدون بقصد أو بغير قصد على إثارة الثورات وتدبير المؤامرات الدولية، التي كانت أحياناً تؤثر أثراً كبيراً في توجيه سياسة الدولة المصرية.

جاء سائح فرنسي إلى مصر في عام ١٣٣٦ الميلادي في أيام السلطان محمد بن قلاوون واسمه (ماندفيل)، وخلف كتاباً في وصف رحلته إلى مصر التي كانت عند ذلك أعظم بلاد الأرض وأعلاها مدنية؛ فكان وصفه ينم عن أن عظمة مصر قد ملأته روعة بمظاهر غناها ومدنيتها، وترف حياة عظمائها. وقد حكى لنا بعض تفاصيل من مظاهر الحياة التي كانت استرعت نظره، مثل قوله: إنه لما مثل بين يدي السلطان قبّل له الأرض على العادة المرسومة: بأن انحنى انحناءة عظيمة، ولمس بأطراف أصابعه سطح الأرض، ثم رفع يمينه إلى رأسه وقبلها بشفتيه. ثم وصف في شيء من الدهشة ما رآه في حضرة السلطان من تقاليد تحيط العرش بهيبة من الجلالة والروعة أمام ناظريه، ووصف كيف كان السلطان يحدثه ويسائله عن تفاصيل الحياة السياسية في دول الغرب، وكيف كان يسوق إليه في حديثه ... دقيقة لبعض عادات أهل أوربا ومشاربهم ... عن وجه الرأي من علم السلطان ... السلطان: إن أخبار الدول تجمع ... التجار الذين كانوا يذهبون إلى أوربا من التجار ... الذي يدفعهم إليها ليبيعوا العروض الثمينة التي كان يتجر فيها من جواهر ومسك وعطور وبلسم — ذلك البلسم الثمين الذي كان لا ينمو في مكان في العالم غير حدائق السلاطين في ضاحية المطرية.

وكان أعجب ما عجب له الزائر أن السلطان كان يحدثه حديثاً بليغاً باللغة الفرنسية فصحى، وأن أربعة من المماليك السلطانية التي ذهبت تشيعه عند باب القصر كانوا يجيدون التكلم بهذه اللغة.

بعد أقل من خمسين سنة من هذا التاريخ تخلف لنا كتابان كتبهما اثنان من أهل أوربا كانا فيمن قصد إلى مصر من جموع السائحين الذين كانوا يفدون عليها. وفي أحد هذين الكتابين خبر يستلفت النظر، وهو أن السلطان برقوقا الذي كان يحكم مصر في ذلك الوقت

(سنة ١٣٨٤ الميلاد) كان يونانياً ، وأن أباه ظل في بلاده على دينه المسيحي حتى أصبح هو سلطاناً ، فبعث إليه وأدخله في الإسلام .

أما الكتاب الثاني الذي ألفه (سيجزول) ففيه وصف طويل للسلطان برقوق نفسه ، يتغنى فيه الكاتب بجمال هيئته وتأنقه وحسن أدبه ورقة شمائله . وقد جاءت في ذلك الكتاب بعض تفاصيل عن حياته ؛ فقد ذكر أنه كان يبدل ملابسه الثمينة في كل يوم ثلاث مرات ، فإذا ما خلع ثوباً وضعه أتباعه في خزانة خاصة لكي يهب السلطان منها خلعاً لمن يريد تكريمه من قواده وأمرائه ؛ وقد رآه السائح يخرج مرة للصيد إلى سرياقوس ورأى خيمته العظيمة التي كانت تنقل على قافلة من الإبل لكي تضرب له حيث يحل ، فإذا ما نصبت كانت أشبه شيء بالمدينة تتخللها شوارع تقام فيها الأسواق لكي يشتري أتباع السلطان منها ما يحتاجون إليه [illegible] كذلك ما كان يتدفق على البلاد من الغنى ، فقال إنه رأى [illegible] إلى القاهرة بعثها نائب الشام إلى سيده السلطان الظاهر ، وكانت في مائة من الإبل تحمل أحمالاً من الذهب والفضة وغوالي الثياب ، وقد لبس سائق كل جمل ثوباً مما يحمله جمله ، فكان منظرها رائعاً يأخذ بالألباب . واتفق عند ذلك أن كان الملك برقوق في رحلة من رحلات الصيد ، فأمر بأن تساق القافلة إليه في موضعه ، فلما بلغت رحابه وزع كل ما فيها على من كان معه من القواد والأتباع . وهنا السائح يذكر كذلك أن كثيراً من جنود مصر المماليك كانوا من أصول أوربية .

وقد تخلف لنا وصف رحلة أخرى كتبها السائح (فلكس فابر) الذي زار مصر في سنة ١٤٨٠ ، وكان السلطان عند ذلك هو الفارس قايتباي صاحب الجيش المنتصر ، والعمارة البديعة ، والفن الرفيع . وكان فلكس فابر صاحب نظرة صحيحة نافذة ، فكان لا يدع شيئاً تقع عينه عليه دون أن يتفنن في استقصاء علمه . وقد بين في كتابه كيف كان أكثر موظفي القصر من أصل أوربي ، وأفاض في الحديث عن أحدهم الأمير تغري بردي الترجمان الأكبر للسلطان ، فصور له صورة حية عجيبة لا يخلو ترديدها هنا مما يبعث على الاهتمام .

كان تغري بردي هذا كما يصفه (فلكس فابر) في أول أمره قسيساً كاثوليكياً ، ثم أسلم بعد ذلك واتصل بسلطان مصر وصار ترجمانه الأعظم ؛ وكان يتولى شئون الأجانب في مصر ويجعل داره مكاناً عربياً للنظر في شئونهم .

وكان يبيح للزوار الأوربيين أن ينزلوا عنده ، إذ كان هو الوكيل بحمايتهم ، وكان يستوفى منهم نظير نزولهم وحمايته لهم أجوراً تبلغ أثمانها مبلغاً فادحاً . وقد نزل (فابر) في قصره هذا وشهد منه ما أدهشه ، فأراد أن يخرج فيقيم في مكان آخر ، ولكن تغري بردي تنكر له عند ذلك وهدده [illegible] حمله على البقاء عنده خوفاً من بطشه . ولا يكاد من يقرأ هذا الحديث إلا أن يعجب بمقدرة الكاتب التي أبداها في كتابه ، فهو أشبه الأشياء بحديث القصص الشيقة .

وكان في قصر تغري بردي هذا موضع لسجن الأجانب يصفه فلكس فابر وصفاً دقيقاً حياً ناطقاً ، ويصف من كان فيه من الأجانب الذين كان الترجمان الأعظم يتخذهم تجارة له .

ويحدث فلكس فابر عن بعض المماليك فذكر أن الكثيرين من جنده كانوا في ذلك الوقت من المسيحيين ، وقد شهد أنه رأى عدداً منهم يأتون سراً لتأدية الصلاة المسيحية مع بعض القسوس ، ويطلبون منهم مباركة أطفالهم وتعميدهم ، مع أنهم من نسل زوجاتهم المسلمات ؛ وقد عرف (فابر) أسرات بعضهم ، وكان فيهم عدد كبير من أولاد الأعيان في البلقان والمجر وألمانيا ، وهو يعلل ذلك بأنهم أسروا في حروب سلاطين الترك مع المسيحيين ، فأرسلهم سلطان

دراسات اقتصادية من كتب الشريعة الإسلامية :

التسعير الإلزامي

عند ابن قيم الجوزية

تمهيد : كان ظهور أنصار حرية الناس المطلقة في أعمالهم واتجاهاتهم ، نتيجة لما ساد في أوروبا مذهب التجاريين القائل بالحد من نشاط الأفراد الاقتصادي في سبيل حفظ الثروة العامة وزيادتها ، ونتيجة لحركة دولية تختلف المذاهب الاقتصادية التي ما زالت متتبعة حتى يومنا هذا ، والحرب الحاضرة مهما كانت دواعيها وغاياتها ، إنما هي معركة [illegible] اقتصادية قبل كل شيء ، وهي في أهم صورها [illegible] لتأمين أو حفظ المجال الحيوي الاقتصادي [illegible] فيه . وبالرغم من أبحاث علماء الإفرنج [illegible] يجهل الكثير من الإفرنج بعض النواحي [illegible] فإن الفضلاء الحديثين [illegible] الأفكار الاقتصادية المتسعة لم يعرفها العالم قبل أبحاث التجاريين في القرن السادس عشر الميلادي(١) .

فإذا كان التجاريون أبدوا آراءهم في القرن السادس عشر ، وعارضهم الأحرار عندما انتشروا في منتصف القرن الثامن عشر ، وقامت المذاهب الاشتراكية العلمية في القرن التاسع عشر ، وظهرت المبادئ الفاشستية في القرن العشرين ، فما هو موقف الفقه الإسلامي من المسائل الاقتصادية المختلفة ؟ وهل عالج الفقهاء المسلمون شيئاً منها معالجة مفيدة ؟ وهل كان عندهم من الآراء الاقتصادية ما يتفق مع ظهور الفكر الاقتصادي المسيحي قبل القرن السادس عشر ؟

لست أدري إن كان أحد ممن كتب في المواضيع [illegible] أجاب عن هذه الأسئلة إجابة مفصلة [illegible] الأستاذ محمد صالح بك في بحثه عن [illegible] الاقتصادي العربي ، المشار إليه في هامش كتاب [illegible] في علم القانون والاقتصاد ،

(١) [illegible] للدكتور الرفاعي : الاقتصاد السياسي [illegible]

الترك إلى مصر بياعاً إلى سلطان مصر ليجعلهم جنوداً في جيشه على ما جرت به العادة .

وقد جاء بعد ذلك بقليل الفارس الألماني أرنولد فون هارف (في سنة ١٤٩٩) ، وكان متخفياً في زي تاجر ولعله كان يقصد التجسس عن أحوال مصر لبعض أمراء أوروبا . وقد رأى ذلك الشاب أن السلطان محمد بن قايتباي الذي حكم في عهد الاضطراب والثورات ، وكان عمره لا يزيد على ستة عشر عاماً ولكنه كان شديد الذكاء ، له علم بما كان في أوروبا من أحوال السياسة . ولقد سأل السلطان هذا السائح عن تفاصيل كثيرة عن ملك فرنسا ، وحاول أن يعلم منه شيئاً عن أسراره الحربية ، فسأله عن عدد جيوشه وعن آخر قوته ؛ وكان الفارس يجيب سلسلة من الأكاذيب لأنه لم يجرؤ على أن يمتنع من الإجابة . والفارس فون هارف ذكر كغيره ممن قبله أن جنود مصر كانت على الأكثر مستمدة في ذلك الوقت من المسيحيين ، وقد عرف السائح اثنين من هؤلاء الجنود المسيحيين ، كان أحدهما من أسرة في مدينة بال والآخر من أسرة في دانزج .

هذه الحقائق التي سردها هؤلاء السائحون في كتبهم تمسح [illegible] الكثير من الخواطر ، وكثير من الفروض فعلى التاريخ السري لدولة سلاطين مصر كان أقرب إلى الحقيقة من ظاهر الحوادث التي تنطوي عليها سجلات التاريخ .

محمد فريد أبو حديد

قد أوفى بحثنا الموضوع حقه ! أو لعل الدكتور [illegible] الذي قرأنا عنوان أطروحته الفرنسية (آراء ابن خلدون الاقتصادية) في دراسات الأستاذ المصري[1] ، قد عالج هذه المسائل أو بعضها !

إني أترك الإجابة عن هذه الأسئلة إلى فرصة ثانية ، قاصراً بحثي هذا على عرض موجز لآراء بعض الفقهاء المسلمين في النواحي الاقتصادية التي عالجها كل منهم فيما [illegible] أخذنا من كتبه ورسائله . وأعرض الآن رأي أحد كبار الفقهاء السابقين في موضوع يحتل اليوم مكاناً أولياً بين الأمور التي تعالجها حكومات العالم بدقة ابتغاء تأمين الرخاء المستطاع لشعوبها ، وأعني به « التسعير الإلزامي » للحاجات والمنافع ؛ لأن حالة الحرب التي تنتاب العالم الآن فرضت على كل حكومة من حكوماته الإشراف التام والمباشر على جميع أنواعها في كثير من النواحي ، حتى [illegible] الأمر في دول محاربة أن [illegible] خدمات جميع سكانها لأغراض [illegible] ماضون عنه « [illegible] »

كتاب الطرق الحكمية : من ينفق الساعة بكتاب « الطرق الحكمية » لابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١ هـ ، وهو من خيرة كتب السياسة الشرعية التي وضعها الفقهاء المسلمون لإرشاد ولاة الأمر إلى أقوم السبل لتأمين المصالح العامة والقضاء بين الناس بالعدل وفقاً لقواعد الشريعة الإسلامية وتعاليمها الرشيدة .

وابن القيم في كتابه هذا — كعادة فقهاء زمانه — يعالج كثيراً من المسائل الشائكة معالجة مقارنة ، يجمع من خلالها أشتات الآراء وأدق الأفكار ، وهو يقر أو يضع كثيراً من الأصول والقواعد ، كالتفريق بين الشهود مثلاً ، والاستجواب مثلاً ، وغيرها من القواعد التي تعتبر في العصر الحديث من الأسس القانونية العامة

(1) من مقدمة ابن خلدون ، بيروت ١٩١٢ .

وقد تعرض مؤلف الطرق الحكمية لنواح اقتصادية معينة كتأثير العرض والطلب على الأسعار ، وواجبات السلطان في الرقابة على الناس ؛ وكان من المسائل التي عالجها كواجب من واجبات أولي الأمر مسألة « التسعير والمصادرة » التالي عرضها ملخصاً عرضاً :

إشراف الدولة على الأسعار : إن تنظيم الحياة الاقتصادية يعتبر من أهم واجبات الحكومة ، خاصة في الأزمات الطارئة كوجود الأمة في حالة حرب مع أعدائها ، وذلك لتأمين الرخاء العام للأمة مدى تمكين ما يتناسب والمتوجبات الداخلية ، والأسواق المالية وظروف المبادلات الخارجية ؛ وواجب الحكومة هذا يقتضي قبل كل شيء مراقبة التجارة والأسواق ، ومنع الاحتكار [illegible] الأسعار ، وتحديدها عند اللزوم منعاً لأطماع التجار [illegible] عامة الناس . وقد عقد ابن قيم الجوزية [illegible] فيه موضوع التسعير الإلزامي ومشروعيته [illegible] ، ومنه ما هو ظلم محرم ، ومنه ما هو [illegible] عن الناس وإكراههم بغير حق على البيع بثمن لا يرضونه أو منعهم مما أباح الله لهم فهو حرام ، وإذا تضمن العدل بين الناس مثل إكراههم على ما يجب عليهم من المعاوضة بثمن المثل ، ومنعهم مما يحرم عليهم من أخذ الزيادة على عوض المثل ، فهو جائز بل واجب)

ثم يضرب ابن القيم الأمثلة عن التسعير الظالم ، ويأتي بالحديث الشريف المانع من التسعير ، مبيناً أن واقعة ذلك الحديث هي واقعة معينة رفض الرسول صلى الله عليه وسلم أن [illegible] فيها ترجيحاً منه عليه الصلاة والسلام للعدل الذي رآه وقتئذ ؛ وبعد ذلك يقول عن التسعير الواجب على أولي الأمر أن يتبعه (أن يمنع أرباب السلع من بيعها مع ضرورة الناس إليها إلا بزيادة على القيمة المعروفة ، فهنا يجب عليهم بيعها بقيمة المثل ، ولا معنى للتسعير إلا إلزامهم بقيمة المثل ، والتسعير هنا إلزام بالعدل الذي ألزمهم الله به) .

وجوب العدل عند التسعير : ولا يفوت ابن القيم أن ينص على أن السعر الإلزامي يجب أن يكون عدلاً لجميع الأطراف ، فلا يبخس التجار حقوقهم ، وهو ينقل عن أبي الوليد الباجي ما يدل على وجوب مراعاة الحاكم لمصالح الطرفين ، وأن يكون السعر واحداً لكل صنف متساوٍ في الجودة ، أما إذا اختلفا فلا يؤمر صاحب الجيد أن يبيعه بسعر الدون) ، بل يجب على ولي الأمر أن يضع لكل صنف سعراً عادلاً يتناسب مع أسعار بقية الأشياء .

واشترط بعض العلماء تحقيقاً للعدل عند التسعير الإلزامي مراعاة الثمن الذي اشترى به التجار ، قال ابن حبيب : (ينبغي للإمام أن يجمع وجوه أهل سوق ذلك الشيء ، ويحضر غيرهم استظهاراً على صدقهم فيسألهم : كيف يشترون ، وكيف يبيعون ، فينازلهم إلى ما فيه لهم وللعامة سداد حتى يرضوا) قال أبو الوليد : (ووجه هذا أن به يتوصل إلى معرفة مصالح البائعين والمشترين ، ويجعل للباعة في ذلك من الربح ما يقوم بهم ، ولا يكون فيه إجحاف بالناس) .

التسعير لمصلحة العامة : ويرى ابن القيم أن التسعير يكون واجباً ويؤخذ فيه بعين الاعتبار مصالح التجار وحرمانهم من أرباح كافية لهم ، فإن هذا التسعير يجب أن يبنى دائماً على مصلحة العدد الأكبر من الناس (لأن الرأي العام والجمهور به تقوم المجتمعات ...) .

التسعير لمصلحة التجار : ومن الأدلة على دقة تفكير العلماء السابقين أن ابن القيم الجوزية يرى بأن من موجبات التسعير الإلزامي صون التجار عن الخسارة ، لأنهم قد يتضررون عند فقدان السعر الإجباري بأثمان باهظة ، ومثال ذلك (أنهم قد يتساهلون في الشراء إذا علموا أن الربح لا يفوتهم) ، وإذا زادت أسعار السوق قليلاً أضاعوا من الربح ، وقد يخسرون رؤوس أموالهم كلها ، كما أثبتت لنا الأزمة الأخيرة التي حلت بتجار الشام عند ورود أخبار الانهيار الإيطالي ، بعد أن كانت الأسعار مرتفعة من جراء بعض المعارك السابقة عليه .

التسعير لمصلحة السوق الاقتصادية : ومن أهم واجبات أولي الأمر الاقتصادية حماية الأسواق التجارية من تدخل المرجفين ، الذين يعملون لإفساد الأسواق بإغراقها بالبضائع ، أو بالمضاربات غير المشروعة ، أو بالحط من الأثمان لطرد منافسيهم من السوق ، وهذه كانت من المسائل التي عالجها كثير من العلماء ، ولقد لخصها ابن القيم في فصل خاص قال فيه : (... وقد تنازع العلماء في التسعير في مسألتين : إحداهما إذا كان للناس سعر غالب فأراد بعضهم أن يبيع بأقل من ذلك ، فإنه يمنع من ذلك عند مالك ، وهل يمنع من النقصان ؟ على قولين لهم ... ، واحتج مالك رحمه الله بما رواه في موطئه عن يونس بن سيف عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب مر بحاطب بن أبي بلتعة وهو يبيع زبيباً له بالسوق ، فقال له عمر : إما أن تزيد في السعر وإما أن ترفع من سوقنا ... قال مالك : لو أن رجلاً أراد إفساد السوق ... أن يقال له : إما لحقت بسعر الناس وإما رفعت) .

... وإن هذا لدليل على ما كان عليه الفكر من تفكير سليم ، ونحن نرى أن في مقدمة ما يطلب من الحكومات اليوم حماية الأسواق المحلية من غزو المضاربات المفسدة لها ، ومن غزو الشركات الأجنبية التي تحاول إغراق الأسواق ببضائعها والاستيلاء عليها بفضل الأثمان المنخفضة التي تعرضها على الناس ، وكنا قبل الحرب نرى كيف تسيطر البضائع اليابانية الرخيصة على أسواق أغلب دول العالم ، مما حمل كثيراً منها على تحميل هذه البضائع أشد أنواع الضرائب والرسوم ، وفي بعضها منعت من دخول الأسواق بتاتاً .

حصر البيع : يذكر ابن القيم أن يحصر السلطان بيع صنف من الأصناف في طائفة معينة من الناس ، لأن في الحصر إضراراً بالمستهلكين وإضراراً بالمنتجين ، فإن اقتضت المصلحة العامة حصر بعض الأصناف كالملح أو التبغ مثلاً ، أو حدثت ظروف طارئة تقتضي الحصر كما حدث في هذه الحرب بالنسبة لتجارة الورق

والقحط وأحداث أخرى ، فيقول ابن القيم عن العصور (٢) السيئة إلى (هؤلاء يجب التسعير عليهم وألا يبيعوا إلا بقيمة المثل ولا يشتروا إلا بقيمة المثل ...)

السلاح والذخيرة أثناء الحرب : لما كان الجهاد المؤيد عن البلاد والوطن ، والدفاع عن الدين والحرمة ، من الأمور الهامة المتصلة بكيان الأمة ، وحيث إن حالة الحرب تفرض خطورة على حياة الشعوب ، وجب أن تكون تجارة السلاح تحت إشراف الدولة ، وخاصة مصانع الذخيرة وآلات الحرب ، لأن في احتكارها والتلاعب بأثمانها ما يعرض الأمة كلها للخطر الداهم ، لذلك وجب عند الأخطار سيطرة الدولة على كل ماله صلة بالحرب وعلى تحكمها سيطرة تامة ؛ وابن القيم وجد هذا المعنى كثيراً في كتابه وهو يقول : (إذا احتاج الناس إلى سلاح وجهاد وآلات ، فعلى أربابه أن يبيعوه بعوض المثل ولا يمكنوا من حبسه إلا بما يريدونه من الثمن ...)

الحرمات وفقد الأيدي العاملة : [illegible] ابن القيم أن تحدث ظروف تقل فيها الأيدي العاملة وتغلو فيها الأجور ، مما يسبب اضطراباً في الحياة الاقتصادية ويشل حركة الناس ويؤخر أعمالهم ، كما حدث أثناء هذه الحرب ؛ وهو يقول في فصل خاص : (ومن ذلك أن يحتاج الناس إلى صناعة طائفة كالفلاحة والنساجة والبناء وغير ذلك ، فلولي الأمر أن يلزمهم بذلك بأجرة المثل ، فإنه لا تتم مصلحة الناس إلا بذلك ... وكذلك تجهيز الجيش ونحوهم ، وكذلك أنواع الولايات العامة والخاصة التي لا تقوم مصلحة الأمة إلا بها) ، وفي فصل آخر يقول : (... إن الناس إذا احتاجوا إلى أرباب الصناعات كالفلاحين وغيرهم أجبروا على ذلك بأجر المثل ، وهذا من التسعير الواجب)(١)

الأجور والمنافع : ومما يقرر ابن القيم حصوله في ظروف خاصة أن يخلو الناس من أمكنة للسكنى فلا يجدون إلا بأسعار فاحشة لا تتناسب مع المنافع التي يحصلون عليها ، أو أن يعمد أصحاب الدور تهديد المستأجرين بطردهم منها بسبب زيادة الأجور عليهم زيادة غير عادلة ، كما هو الحال الآن تماماً — لولا قوانين الحرب الاستثنائية —

وفي هذا يقول ابن القيم في فصل عقده عن الأجور : (فإذا قدر أن قوماً اضطروا إلى السكنى في بيت إنسان لا يجدون سواه ... أو غير ذلك ، وجب على صاحبه بذله بلا نزاع) ، وبعد أن يعرض ابن القيم أقوال الفقهاء المسلمين في حق صاحب الدار بأخذ أجرة على إسكان غيره فيه يقول : (... ومن جوز له أخذ الأجرة حرم عليه أن يطلب زيادة على أجرة المثل)

العقوبات الصارمة للتسعير الإلزامي : وجدنا أن [illegible] السلطان التسعير الإلزامي إذا [illegible] لا [illegible] من ذكر ما يسمى التنفيذ [illegible] المخالفات من عقوبات [illegible] (... وأما إذا امتنع الناس من بيع ما يجب عليهم بيعه فهنا يؤمرون بالواجب ويعاقبون على تركه ، وكذلك كل من وجب عليه أن يبيع بثمن المثل فامتنع) ، لأنه يرى للقضاء في الاحتكار : (وللأمير أن يكره المحتكرين على بيع ما عندهم بقيمة المثل عند ضرورة الناس إليه) ؛ وهذا الإكراه الذي يقرره للسلطان يتضمن جميع الوسائل التي يراها كفيلة لتنفيذ أوامره الملزمة في مقتضيات المصالح العامة حسب الظروف والحالات المختلفة . وقد اختلف العلماء في مدى هذا الإكراه ونوع العقوبة ، وإلى أي حد يصلان ؟ وكان أصحاب أبي حنيفة أشد الفقهاء احتراماً لحرية الفرد ، ولكنهم قالوا : (لا ينبغي للسلطان أن يسعر على الناس إلا إذا تعلق به حق ضرر العامة ، فإذا رفع إلى القاضي أمر المحتكر نهاه عن الاحتكار ، فإن أبى حبسه وعزره على مقتضى رأيه زجراً له ودفعاً للضرر عن الناس)

(١) يلاحظ أن الإلزام هنا لا يكون إلا في ظروف معينة وهو لا يشمله وجه من الوجوه ما كان مشروعاً [illegible] من حصر الفني وإلزام الناس بها .

ولكن هل يحكم القاضي بمصادرة الأموال المحتكرة وبيعها؟ لاشك في هذا لأنه من عقوبات الاحتكار المتروك تقديرها لرأي الحاكم؛ وعند المصادرة والبيع بغير رضا المالك الأصلي بالرغم من مخالفتها لبيع مال المدين، وهو في جوازه على الخلاف المعروف عند الفقهاء، فقد (قيل يبيع — القاضي — عندهما بالاتفاق لأنه — عند أبي حنيفة — يرى الحجر لدفع الضرر العام ...)

والمصادرة في الشريعة الإسلامية [illegible] العقوبة، وقد أخذ [illegible] قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم في قضية [illegible] (أصلاً في جواز إخراج الشيء من ملك صاحبه قهراً بثمنه للمصلحة الراجحة)؛ وإذا أجاز الشرع نزع الملكية لمصلحة [illegible] أو شخص [illegible] بلا إشكال [illegible]، عند اقتضاء المصلحة العامة، مصادرة أي شيء [illegible] أو جماعة من الطعام والملابس [illegible] وغير ذلك من الأشياء والسلع [illegible]

وإذا كان القياس في قضاء الرسول [illegible] يقضي بأن تكون المصادرة بثمن [illegible] لشكل عقوبة لا يبقى فيها عنصر [illegible] فتفقد مزيتها؛ لهذا كان للقاضي الحكم بالمصادرة المطلقة لأموال المحتكرين و[illegible] التسعير الإلزامي إذا رآها، لأن [illegible] تلك العقوبة [illegible] مرتبة[1]. وإذا كان (عمر بن الخطاب يطرح اللبن المغشوش في الأرض أدباً لصاحبه ...) فالمصادرة لمصلحة بيت المال أولى من الإتلاف في اللبن المغشوش والطعام [illegible] العامة[2].

ومن العقوبات الرادعة التي ذكرها ابن القيم المنع من تعاطي البيع، فإن (صاحب السوق يمنع من [illegible] لهم الصان كذا وطم الإبر كذا وإلا خرجوا من السوق)، ولقد أعطى ابن القيم المنع في هذا المثل شكل التحجير [illegible] دون البائع أوامر السلطان والسعر المعين من قبله، ولكنه قد يبلغ حد الإقصاء والطرد من تعاطي مهنة التجارة كعقوبة يجازي بها الحاكم من يخالف أوامره، (... وعلى صاحب السوق الموكل بمصلحته أن ... يتفقد السوق أبداً فينهاهم — التجار — عن الزيادة على الربح الذي جعل لهم، فمن خالف أمره عاقبه وأخرجه من السوق).

وأخيراً بعد أن يسرد ابن قيم الجوزية، خلال أبحاثه، أدلة التسعير والمصادرة، ويأتي بأقوال الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ويناقشها، ويريد أن يخرج من كل ذلك بجواز المصادرة والتسعير الإلزامي للأموال والمنافع والخدمات، [illegible] المصلحة العامة لكل هذا أو بعضه، يختم بحثه [illegible] (الأمر أن مصلحة الناس إذا لم تتم إلا بالتسعير [illegible] لا وكس ولا شطط) اهـ.

* * *

[illegible] الطرق الحكمية ما يجب لنا [illegible] — من الناحية التي [illegible] الأخرى، ومن الحقيقة ليس شيئاً كبيراً بجانب [illegible] التي [illegible] المؤلف — وكل هذا من [illegible] الكتاب من تكرار وإسهاب [illegible]، وقلة تنسيق، وبعد عن التبويب المألوف فيه في العصر الحديث، ولكن كما قال الأستاذ الكبير [illegible] في دراسته عن مقدمة ابن خلدون، أن علينا ([illegible] عظائمه [illegible] أن يتأمل في كل موضوع من مواضيعه، ويتكلم [illegible] كل مسألة من مسائله على حدة)، لأن الكتب القديمة (لا يجوز أن توزن بالموازين الفكرية العصرية، بل يجب أن تقدر بموازين تاريخية خاصة)، وأن على من يقرأون تلك المؤلفات القديمة (أن ينتقلوا إلى عهد القرون التي تفصل بيننا وبين تاريخ كتابة) تلك المؤلفات، كي يستخرجوا منها كل نافع مفيد، وليكون حكمهم عليها حكماً دقيقاً عادلاً.

[illegible] [illegible] الخطيب

(١) الرأي هنا في مشروعية المصادرة [illegible] [illegible] الفقهاء [illegible] هذا النوع من العقوبة [illegible] في الشريعة الإسلامية [illegible] إتلاف المال أو مصادرته [illegible]

(٢) إن العلماء [illegible] في [illegible] يفكرون في [illegible] المغشوش [illegible] في السوق [illegible]

في الميزان الجديد :

٢ - زهرة العمر

« قد تسائل أليس في مصر طبقة من المستنيرين ؟ نعم في مصر بيئة مستنيرة ، فيها كثيرون عاشوا في أوربا وعرفوا الثقافة الأوربية . وفيهم من يعرف الفن الأوربي ويتكلم عن المصورين والتصوير ، ومن يتكلم عن برامس وباخ وهاندل . ولكن النادر أن تجد بين هؤلاء من يعرف أن الثقافة الحقيقية شيء والكلام فيها شيء آخر . وقليل من هؤلاء من أدرك أن الثقافة العقلية وحدها ليست كل الثقافة ، وأن الثقافة الكاملة شيء أوسع من ذلك بكثير . إن أكثر هؤلاء المتكلمين في موسيقى والتصوير [illegible] يعرفونها برؤوسهم ولا يدركونها بأحاسيسهم [illegible] الثقافة ليس مجرد المعرفة ، بل الإحساس [illegible] مختلف الفنون . ما قيمة الكلام [illegible] أعماله لا تهز نفسك هزا ؟! وما معنى التحدث عن [illegible] أو مانتنيا أو روبانس أو بوتيتشيلي إذا كانت صورهم لا تعمر رؤوسنا ليل نهار ، وتحدث ألوانهم وأصباغهم في نفوسنا الأحداث ؟! الثقافة ليست كلاما يملأ الرؤوس ، ولكنها يقظة الملكات كلها والحواس ... إذا سمعتني أقول هذا فلا تعجب إذا حدثتك أن ليس في مصر عدد أصابع اليدين من المثقفين ... » (ص ٢١٣) .

هذه الحقائق الكبيرة هي الدرس النهائي الذي تمخض عنه « زهرة العمر » ، ولكي ندرك معناه البعيد يجب أن نعيد الرحلة التي وصلنا إليها اليوم ، وأن نبين العناصر المكونة لثقافتنا الحالية ، والأمر واضح ؛ فهناك منبعان كبيران لتفكيرنا الحالي ، بل لحياتنا الروحية كلها .

أما المنبع الأول فهو بعثنا للثقافة العربية في عصورها الأولى ، فمصر المعاصرة ليست استمرارا لمصر الإسلامية . وهـذا أمر لا يحتاج إلى دليل ؛ فأجيالنا الناشئة أكثر معرفة وتقديرا اليوم لامرئ القيس وجرير والبحتري مثلا منها للبوصيري والبهاء زهير وابن نباتة المصري ؛ ونحن أكثر قراءة للأغاني والأمالي منا لنهاية الأرب أو صبح الأعشى . نعم إن مصر الإسلامية قد آوت الثقافة العربية يوم فرت من وجه المغول ، ولكنها كانت ثقافة ذاوية مضمحلة سطحية . ولقد كان في ظروف مصر السياسية والاجتماعية ما زاد تلك الثقافة ضعفا ، حتى أصبحت إما شروحا وحواشي وتعليقات وتصانيف أو أدبا إنشائيا متكلفا لفظيا لا تضطرب فيه الحياة إلا بمقدار ... والذي لا شك فيه أننا لم ننتعش إلا عندما جاءت حركة البعث القديم ، ولعل البارودي أن يكون أول شعراء هذا البعث إن لم يكن رائده باختياراته [illegible] في مجال اللغة وفن الشعر ؛ كما أن [illegible] قد جدد من شباب الإسلام بدعوته إلى [illegible] الصحيحة والعدول عن الخرافات التي [illegible] على حياتنا الروحية . لقد [illegible] في مصر في النصف الأخير من القرن التاسع عشر شبيه إلى حد ما بحركة البعث الفني التي ازدهرت بأوروبا في القرن السابع عشر ، حدث رجوع إلى القديم وبعث له ؛ وكما أحيا الأوروبيون تراث روما وأثينا كذلك أخذنا نحن نحيي تراث مكة والمدينة ودمشق وبغداد . وكذلك الأمر في المجال الروحي ، فحركة جمال الدين الأفغاني والأستاذ الإمام قد صدرت عن روح شديدة الشبه بالروح التي صدر عنها لوثر وكالفن وزونجلي . هذا هو المنبع الأول نشير إليه ولكنه ليس موضع حديثنا اليوم .

وإنما نريد أن نقف عند المنبع الثاني الذي ينقلنا كتاب الحكيم إلى مرحلة جديدة من مراحله ، وأعني به المنبع الأوروبي الغربي . والملاحظ في تاريخنا الطويل أن مصر كانت بؤرة الثقافة اليونانية لمدة عشرة قرون كاملة (من ٣٣٣ ق م إلى ٦٤٠ م) أعني مدة البطالسة والرومان

ومتغلغلة ، وهذا زمن طويل حتى في حياة الأمم . ومن المعلوم أنه خلال تلك المدة كلها كانت لغة الثقافة والإدارة هي اللغة الإغريقية ، وأن اللغة اللاتينية لم تستعمل إلا في الجيش وفي المراسلات الحاكمة مع الإمبراطور أيام الحكم الروماني ؛ ولقد كان لنا أن ننتظر انتشار الثقافة الإغريقية بين المصريين . ومع ذلك فإن شيئاً من هذا لم يحدث ، فمصر لم تصبح إغريقية في يوم ما كما أصبحت فيما بعد عربية بسرعة مدهشة ؛ فلقد ظل المصريون بعيدين عن الإغريق ، وظلوا يتكلمون اللغة المصرية ويكتبون الكتابة الديموطيقية ، كما ظلوا متمسكين بدينهم وتقاليدهم الموروثة ، وهم لم يتخلوا عن شيء من خصائصهم الروحية إلا أيام المسيحية . ولا غرابة في ذلك ، فقد كان الشعب المصري طوال هذا الزمن في وضع مادي ونفسي وروحي [illegible] . ولقد كان المصريون [illegible] الإغريق والرومان [illegible] أن امتزج الشعبان كما امتزج المصريون والعرب [illegible]

وفي الحق إنها لظاهرة عجيبة [illegible] أن مصر [illegible] الثقافة اليونانية في [illegible] أن لاقت البذور ؛ وقد انقضى ذلك الزمن بفتح العرب لمصر ، وإذا بنا نرى الفسطاط تعرب بعد سنة ومائتين عاما فقط من هذا الفتح ، وسرعان ما اختفت اللغة الإغريقية بل واللغة المصرية ، وأصبحت مصر بلداً عربياً وإسلامياً . وإذا كانت مصر لم تتأثر بالثقافة الإغريقية عن طريق مباشر فإنها لا ريب قد ورثت هذا الأثر فيما ورثته من ثقافة العرب . ومن المعلوم أن العرب قد نقلوا الفلسفة اليونانية وخاصة فلسفة أرسطو ودرسوها بل وشرحوها ثم أعادوها إلى أوروبا خلال القرون الوسطى .

وورثت مصر إذن الفلسفة الإغريقية مع ما ورثت من تراث عربي ، ولكنها لم تضف إلى هذا التراث خلقاً جديداً يذكر ، فليس لدينا فلاسفة مصريون نذكرهم مع الفارابي أو ابن رشد أو الغزالي .

والأمر في الأدب كالأمر في الفلسفة ، فأدبنا المصري العربي كان قد انفصل عن التفكير الإنساني ، بل والحياة الإنسانية في عمقها العميق .

ولقد استمرت تلك الحالة إلى سنة ١٧٩٨ ، وتلك سنة [illegible] في تاريخنا السياسي والروحي معاً ، وذلك لأننا خرجنا فيها عن وحدتنا وابتدأنا نتصل بأوروبا وتنفتح نوافذنا على العالم الحي . لقد كان للحملة الفرنسية في حياتنا من هذه الناحية أبلغ الأثر . ولا شك أنها كانت من الأسباب التي وجهت نظر محمد علي إلى الغرب عامة وفرنسا بنوع خاص ، فأوفد إليها البعثات ، وكانت حركة موازية في الترجمة نهض بها رفاعة الطهطاوي وتلاميذه في مدرسة الألسن . ولقد استمرت تلك الحركة إلى يومنا هذا ، بل لعلها أخذت في [illegible] معرفة اللغات الأجنبية بيننا حتى رأينا [illegible] وكتابنا من يجيدها كشوقي ، وإسماعيل [illegible] ولكنه بالرغم من ذلك لم تتغير حياتنا [illegible] الأخيرة تغيراً يذكر . والسبب في ذلك هو أن [illegible] بأوروبا قد تم على نحو ما اتصل العباسيون بالثقافة الإغريقية ، فالذي استطعنا أخذه إنما هو التفكير الأوروبي ، وأما الأدب وغيره من الفنون فذلك ما لم نستطع أن نحققه . والذي لا شك فيه أن التفكير المجرد لا يكفي لأن يكون منبعاً لثقافة جديدة رائعة التدفق . والأدب والفن على العكس من ذلك سبيلان إلى أن يفجرا في النفس ينابيع جديدة ، وذلك لأن كليهما معناه تمثل نوع جديد من الحياة ، ولست أدل على ذلك مما نجد من صعوبة في هذا التمثل . ونحن على ثقة من أن العباسيين لو أنهم استطاعوا نقل الأدب اليوناني [illegible] لتغير التاريخ الحقيقي للعرب . ولكن كيف كانوا يستطيعون ذلك وهم لم يعثروا على غير أرسطو من الفلاسفة ؟! فأفلاطون نفسه لم يعرفوه معرفة حقيقية ، وذلك لسبب بين هو أن فلسفة أفلاطون فلسفة حيوية شعرية من مقوماتها الصور والأحلام

وتلك أشياء كانت بعيدة عن محيط العرب الخلقي والشعوري ... وأما أرسطو فيمثل الروح الرياضية روح التفكير المجرد التي يستطيع كل عقل أن يدركه .

ونحن في مصر الحاضر لن نستطيع أن نجاري التفكير الأوروبي أو أن نضيف إليه إضافات حقيقية إذا كتب بغير هذا التفكير ، وذلك لأن الفكرة التي [illegible] فكرة أخرى لا تلبث أن تعقد مشتركة في ذات المنطق ، وإنما التفكير الخصب هو الذي يستمد من الحياة ومنه في الواقع ، وهذا لا يكون لنا إذا أردنا أن [illegible] الروحية من أن شيء من مقومات تلك الحياة وتجاربها وقيمها ، وهذا لن يكون إلا إذا تعمقنا بالأدوات والفنون الأوروبية من تصوير ونحت وموسيقى

هذا الغذاء الروحي الجديد هو ما دعا إليه توفيق الحكيم في [illegible] زهرة العمر [illegible] جديدة من مراحل حياتنا الروحية [illegible] واتجاهات [illegible] ونحن لا نجهل أيضاً أن كافة [illegible] من الحكيم وغيره من النفر القليل الذين عادوا من [illegible] بأوروبا ثقافة حقيقية ، ومن حولنا عشرات منهم بل مئات ممن قضوا السنوات الطوال بالغرب ثم عادوا وقد تكون لهم سفسطائيات كثيرة وآراء لا تحصى ، ولكنهم لم يتمثلوا الحياة الأوروبية والإحساس الأوروبي والثقافة الأوروبية تمثلها الصحيح . هذه كلها صعوبات لا شك فيها ، ولكننا مع ذلك غير يائسين من الوصول إلى حالة خير من حالتنا الراهنة ، وإنا على تمام الثقة من أن كتاب الحكيم سيثير في نفوس قرائه ثورة حارة للثقافة الحقيقية ، وبخاصة في نفوس الشباب الذين لا يزالون في دور التكوين ، وهذا هو سر اقتراح صديقي لهذا الكتاب .

والذي أحرص عليه في خاتمة هذا المقال هو ألا يخفى على القارئ [illegible] ما يخفى من [illegible] الكاتب بحياتنا المصرية الراهنة [illegible] قد يصعب فهمها على من لم يتعمق الثقافة الأوروبية إلى مثل ما تعمق إليه الحكيم [illegible] أن [illegible] الحكيم [illegible] الكاتب [illegible] إنما هو الإخلاص [illegible] والحكيم هو ذلك الكاتب [illegible] الثقافة الحقة .

محمد مندور

محاورة بين أولاد الذوات

وهكذا اكتمل الجمع وانتظم عقد الصالون [illegible] النهيرة . وكانت [illegible] في [illegible] تمتلئ بالأنوف [illegible] وبعض العيون في [illegible]

وكل [illegible] ولكن نظرة إلى إحداهن كانت نظرة [illegible] تحت ستار [illegible]

والشمس [illegible] ولكن خيوط العنكبوت بدأت تنسج حولها [illegible]

وما هي إلا لحظات [illegible] وكانت المحاورة [illegible] ومن الشرف والنذالة [illegible] من أمور [illegible] والروح [illegible] الأرستقراطي [illegible] في جو ([illegible]) [illegible] ([illegible] مصر) [illegible] ([illegible] مصر) .

أنات حائرة

وصف العرب الرثاء فقالوا إن عينه مدمع الفيت مع تقطع قلبه . واستعبروا عن هذا القرار بت بداعيتهم ، إذا فقدوا حبيبا إليهم أو عزيزا لديهم بكوه بالدمع المدرار ، والمراثي الشجية التي تفيض [illegible] وفي مضامينها روح الفجيعة واللوعة . وقد عدوا هذا اللون القائم من شعرهم أرفع القريض وأكرمه .

قيل لأحد شعرائهم : ما بال المراثي أشرف أشعاركم ؟ قال لأننا نقولها وقلوبنا محترقة . ولا ريب فالرثاء الناطق الصادق صدى لما يحسه الشاعر من توجع وتفجع . فإذا هاج الشعر في قريحته حزنا أو هموما تجيء من أرجاء آثار الحرقة في قلبه ، أو استفاض في نفسها الخاطر الى نحو من مشاركة الشاعر لأهله أو قومه فيما دهمهم من هموم وأحزان . وإن النفس [illegible] [illegible] التي [illegible] [illegible] أحست وهدت . ولقد عنت الأمم [illegible] [illegible] وكلتها ، ولم نقرأ أدب شعب من أشعار الأمم الباكية ، وكيف يستطيع الشعر أن يمسك بأطراف الشجون المبهمة وقد تقضت من ورائها الشجون والحسرات يتخبط الحيران ؟

كان فلاسفة الإغريق يتحدثون حول الموت والحياة حوارا تقوم زفرات ولواعج ، وذلك ما فعله أفلاطون في محاورة فيدون وكيف قضى سوت سقراط . وكان من روائع الأدب الفرنسي تلك البدائع الشعرية المطبوعة برهافة الشعور وشدة العاطفة ، المتفجرة من فؤاد عروق وكبد مصدوعة ، وسرعان ما تنفذ إلى الأرواح الحرى والقلوب التي [illegible] إلى العزاء وما جرى به القضاء ! وفي عصر الثورة الفرنسية كان الشاعر القتيل « آندريه شينيه » من أئمة أهل المراثي ، وكأنه قد صعب بيانه في الشعر مسلك السوداء منه الشعر ، فهو الإرهاب [illegible] في غياهب السجن حتى يحتضر ويمرّ به عنفه ، وقد قال في محنته شعرا عاطفيا هو في أدب الفرنسيين ممتزج لا يتضعضع . ولئن تكون [illegible] [illegible] يبكي أمر بكاء في قصائده التي رثى فيها بنته العروس وزوجها وقد غرقا في نهر ، ثم لم [illegible] [illegible] وبقيت في شعر هوجو تلك الأشعار الأسيفة التي يبكي شجوه فيها . ولم يكن حظ الشعر العربي أقل من حظ الشعر الغربي بروعة المآسي وفجيعة الأحزان ؛ فقد صار شعر الرثاء في الجاهلية ، وكانت الخنساء أصدق من بكى على القريب الحبيب في شعرها الفصيح ، وزحمتها في مكانها على الصخر والنادب في شعر الرثاء عصبية شديدة . ولقد [illegible] آفاق هذا الشعر في قصائد الفحول من شعراء العرب ككثير والفرزدق وأبي تمام والبحتري والمتنبي ، ثم سار في عصر البعث والنهضة إلى البارودي ثم إلى شوقي [illegible] [illegible] وأطال [illegible] [illegible] أولها [illegible] [illegible] [illegible] البحتري الخالدة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على أشجه الرقعتان ، وتابع [illegible] [illegible] الى [illegible] هذا الرق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] أمت سيف الدولة [illegible] [illegible] [illegible] ، وكان شوقي يقول :

يقولون يرثي كل خل وصاحب
نعم إنما أبكي حقوق صحابي

وكان حافظ إبراهيم ينظم أمراثه بأحزان ، وهو القائل في تحية الشام :

إنما تصطفيـــــــــــك [illegible] [illegible]
وجعت شعر المراثي [illegible] [illegible]

هؤلاء الشعراء هم أشهر وأكثر من رثى وبكى في ماضينا القريب والبعيد ؛ ولكن ما يعمر الشاعر الجديد الذي ملئ بالأسى تراثنا العربي بشعر محزون ، كل بيت فيه لوعة وشكوى ، وحرقة ودعوى ، وفي روحه أنات حائرة ، لكنها المحزونة صادقة ! تلك ديوان الشاعر المطبوع عزيز أباظة مدير البحيرة في مصر الشقيقة . وهذا الكتاب حديث يتلقف عن وفاء عجيب وشعور رهيف ، يهز النفوس

الوجيعات بصدقه ورقته ، ويأسى له القلب الرحيم . وكيف لا يأسى على سعادة تحطمت ، وأسرة تفرقت ، وأيتام دهمهم الموت بأمهم الحنون وهم في رونق العمر ونضارة الحياة ؟ فقد تولى بها الزوج متغنيًا بأحلامه وآماله . فقد عرف في نفسه أشجانه وعصفه [illegible] « زينب » أم أولاده التي كانت أمل [illegible] ، [illegible] فراقها في نفسه كطير شريد . وما لبث أن عاد إلى أطفاله بعد غطته فضمهم إلى صدره ، [illegible] قلبه الكبير الذي وسع بالأمس الحب والأمن والمودة ، فهو يسع اليوم الجانب والإحسان ، عطفا عليهم وعلمهم شعرا ينبض بالصدق والوفاء ، [illegible] بأمهم ، ولم يتكلف فيما يشكي من الألم ، ولا زخرفها بصنعة من ألوانه ، [illegible] القصائد الفاجعة [illegible] أمهم ، ليحتذي مثالها بالروح [illegible] الأسى له أستاذا رحيما ، والسلوى [illegible] وكان الأب الملهوف موزعا [illegible] المؤمنين بنعمة الصبر على ما أصابهم . فلما حزن الشاعر ألحانه وضيق باله الشجي الحزين ، فرح حاجا إلى بيت الله الحرام يلتمس العزاء ، غير أن [illegible] الغربة رافقه [illegible] أن لم تمت [illegible] الرضا في عرفات ، ولم تطوف بالبيت ، فأنكر [illegible] شجوه وأناته ، وناجى ربه عند المشعر الحرام مستغفرا لها [illegible] ؛ وفي « عرفات مع ذكراها » [illegible] ؛ وفي « أيام التشريق » [illegible] فتوافقت [illegible] ، والصالح [illegible] أم الإغراء [illegible] ذكريات العذاب ؛ وفي « نجوى » ، و« ليلة دامية » ، و« من أطياف الأسى » ، و« أشجان رمضان » أبيات داميات [illegible] شعر [illegible] بالأسى الأكبر ، وعزاء

لحرمات القلوب .

وما رجع الشاعر المحزون من منزل الوحي ومواقف النبوة ، إلى بلده ، حتى جدد اللوعة وهدم النهضة ، لا يجد مفرا من شكاة بثه في شعر يتأبى بالمرونة والعفوية ؛ ولكنه كان متحرجا من الشكوى إلى الخل والشجي من الناس ، حتى قيض للأديب العربي الدكتور طه حسين أن يستنقذ الشاعر من رثائه ويستزيده من نعمته الذي يلغ قلب الأديب العظيم حزنا لاذعا ، فأعجب بصوره الشعرية التي عبرت من عواطف صادقة ، وصورت شجونه قلب مكلوم ولقد كتب الدكتور طه حسين [illegible] لهذا الكتاب [illegible] من عواطف الإنسان تلك الأحزان ، ووصف شعر [illegible] أباظة [illegible] وصدق الشعور . ومن العجيب [illegible] « الآلام الحائرة » [illegible] شاعرا [illegible] [illegible] في مناحيت القنوط ، ولقد [illegible] وأثرت آلام أعلام [illegible] حول النعش الكريم [illegible] الأب [illegible] في شجيج [illegible] وجعة منها ، على أن صاحبها قد أصاب رحمة واحدة ما أخطأه غيره من الشعراء في طوال السنين ؛ وذا بعثه من حيث إلى السكت مداومة شعرا ، وتحسبه نيلا أن جعل الكورة هذا الشعر رثاء لزوجته وأم أولاده فكان عزاء النساء عن الوفاء ، وما أشبه رثاءه عزائي الخنساء لأخيها قتيل عزيمة ، وجرير الذي رثى زوجته بقوله :

لولا الحياء لهاجني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

ولهت قلبي إذ علتني كبرة وذوو التمائم من بنيك صغار

وقد تحضر في البال هنا مرثاة شاعر السيف والقلم محمود سامي البارودي الذي فجع بزوجته وهو في منفاه فقال يبكيها :

يا دهر فيم فجعتني بحليلة كانت خلاصة عدتي وعتادي

أما نكبة الشاعر أباظة فيتجلى فيها كتب الشاعر بنفسه :

من قصص الحرب :

البولونية الحسناء

قال صديق :

كان الوقت مساء ، ونهر دجلة ينساب فى مجراه المعتاد بين شطين مظللين بالنخيل الباسقة وأشجار التين المنتشرة تحضرها الفاكهة وأوراقها الخضراء ... وكانت تنظر إلى الشمس المائلة للغروب بروح صافية واغتباط جلى ... وقد كانت تكون فى جلستها البريئة الشعرية منظراً من أجمل مناظر الحياة ...

ظلت تحدق إلى ألوان السماء ، وجريان الماء والزوارق الصغيرة المندفعة إلى الجزر الصاعدة فى كبد النهر أزرق منبسطة الطويل ... وكنت أنا أدوّر النظر فيها وفى المتأنقين ، وأنظر أحضانها العطرية تعج وتهبط [illegible] والأخرى بفتور وارتخاء ...

وهبت نسمات الغروب ... [illegible]

فلفحت وجهها وداعبت خصل شعرها الذهبية ، فتطلعت ثملة بما شهدت ورأت من جمال أخاذ .

وقالت وهى تلتفت إلىّ : ما أجمل بلادكم ! ... إن الشرق بلد السحر حقاً ... إن كل شىء هنا طبيعى وساذج ، وهكذا تبدو الحياة عندكم بمزاياها الحقيقية ، وتغلى هذه المشاهد الجميلة انكسارات خالدة ... وحين أجلس معك هنا أجد بلادكم تعاودنى ذكريات جمة عن بلادى أيضاً ... بلادى الغريبة تحت ضربات قنابل جائرة ...

إن المنفى أحياناً تكون سبباً لمراسلة ، وهكذا أجد فى روحى عاطفة عميقة للانتقام ... أنت لا تستطيع أن تتصور ويلات الحرب ... وويلات التخريب المنظم ... وويلات المجاعات والفقر والخوف ... ولكننا نحن الذين [illegible] التاريخ أن نكون شهود كل تلك الأشياء المخيفة وأن نكون فى بلادنا المسرح الأول لهذه الحرب العظيمة [illegible] ما نقول ...

[illegible] وجهها التى نالت الضرب المبرح [illegible] عزيز عليه من [illegible]

قلت لها وأنا أخفف من لوعتها : — ليست الحروب يا سيدتى العزيزة غير صور متكررة لأحزان طويلة تمر فى فترات من عمر الإنسانية ... وما علينا أمام الواقع الأليم إلا الجلد والصبر ... إنى أشعر معك بألمك ... وأقدس فيك تلك الضمير الحى الذى لا ينسيك بلادك لحظة ، ولكن ما تجديه الأحزان فى مثل هذه الساعة ؟!

الطريق ... إلها سماء الشرق ، فالشمس لم تترك وراءها غير أشعة حمراء تصبغ ذرا النخيل ، وغير فيض يتقدم من الشاطئين ...

قالت متأسفة : — شكراً لك ... أظنني سببت لك بعض المتاعب ... لو أنك يا سيدتى رأيت بولونيا لعرفت كم هى جديرة بالحب والرثاء ... وإذا كنت تقول الشعر فكم يحلو لى أن أصور لك بولونيا سعادة جميلة نائمة فى [illegible]

أسألى ربك بلهفاك مع [illegible]

وأتى للخطب واتكلى عليه مداك

واذكرى أمك وابكيها ومن يبكى سواك

واحملى عنه أشقاك ولا تنسى أباك

ولعل مقصد « الأبيات الحائرة » نفس من قلبه المجروح ، واشتق بهذا الرثاء الذى لابد أن يعقب راحة من جواه ، فيطلع علينا بالقصد القريب بشعر أريحى يجول فيه كل مجال ، ويتصل بكل أفق يبسط فنه وعبقريته .

بقى أن أقول إن الشاعر عزيز أباظة حبا أبياته الحائرة أخرمتها وكرامتها ، فلم يجعل منها كسباً وتجراً ، بل شاء أن تكون تذكرة غالية وهدية تهدى ، وكان لى نصيب منها ، فالله أسأل صبراً على صاحب الأبيات ، وحفظاً له البنين والبنات ، وأحمله بعد الهم والحزن شاكراً لله وفرحة للوطن .

(دمشق) وداد سكاكينى

من أشواك ... إن هذه التصورات يا سيدتي تؤلمني ، وليست لي من حيلة في ذلك ... شكراً لك على هذه الساعات التي تحاول فيها أن تنسيني الشقاء ...

ونظرت إلى عينيها من جديد ... عينيها المتألقتين بضوء باهر فيه الذكرى وفيه الاعتراف بالجميل وفيه الخوف من القدر ... ثم قلت : — ألا تذهبين في جولة قارب ؟ إن النهر هادئ هنا وليس من خوف من الضلال ... وإنه ليسرني أن تحيي بغداد كما تحيين وارسو !!.

ولمعت على وجهها الوردي ابتسامة لطيفة وقالت : أحبه ... أحب بغداد من كل قلبي ... إن الشرق كله يحمل طيبة القلب والسماحة والإنسانية ، واقفاً أمامه بمراحله القديمة وتذكارات مجده الإبداعي في حقول الفن والحياة . وإذا تركت بغداد وعادت الحياة الطبيعية ثانية إلى بولونيا الحبيبة سأذكرك بكثير من الإخلاص ...

أيها الصديق العزيز العاثر ! إن الحرب [illegible] فقدان كثير من الأعزاء [illegible] وتعوضنا بأحباب وأصدقاء آخرين ... شكراً [illegible] الصادقات ، هل لي أن أطلب إليك تمضية بعض هذه الليلة في جو « بلانيكا » ؟...

مشينا على الطريق الملطخة السوداء ننظر إلى الناس يسيرون زرافات وعلى وجوههم ضحكات رثة ... أما صاحبي فلم يكف عن التفكير بتلك الوحدة لحظة ... وكذلك فكرت معها ببولونيا الشهيدة متذكراً إياها بالمأساة الكبرى التي خلقتها أنانية الرجال !

● ● ●

ورجع صديقي إليّ بوجه شاحب وصوت خفيف ، وكان عهدي به طليق المحيا دائم البشاشة والبشر ، وأخذ محله في المقهى المعتاد متهالكاً على كرسي من الخيزران وراح ينظر إلى النهر بذهول .

ربّتُّ على كتفه بحنان ورقة وقلت : — ما بالك يا صديقي ؟ أراك مضطرباً هذه الليلة ، فهل من أحزان طارئة تنغصها مناظر الفقر والفراق !...

قال بصوته الواطئ الشاحب : — لا ... ليس ذلك يا صديقي ... إنها الأحزان تغمرني . إنها التذكارات المريرة التي تطوف في ذهني . وإنه لظلام روحي المتعبة هذه الليلة .

قلت : — على مهلك يا صديقي ... هل أنت جاد فيما تقول ؟ أتشقى وأنت بصحبة ذلك البدر الطالع والوجه الساحر والأدب الوفير ... أتشقى وأنت زميل فتاة شجاعة في حياتها ... وبراعة في أدبها ... إن غرامك هو موضع أحاديثنا وحكاية سوالف أخبارنا ... حدثنا يا صديقي عنها ... حدثنا فليس من الحق أن تحرمنا حتى من الحديث ...

ورد عليّ بعينه عقد من ألم ، وتنفس بانقباض أليم وقال : [illegible] ... أعني تلك البولونية الجميلة ... تلك الصداقة الوديعة ... فأخرج من علبته « سيكارة » وأشعلها [illegible] وقال بألم عميق : لقد رحلت [illegible] رسالة زرقاء ... ورحلت [illegible] الصداقة عندي في الهواء .

(بغداد) عبد المجيد لطفي

صاحب امتياز المجلة

رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر

أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول

محمد عبد الواحد خلاف

الاشتراك لستة أشهر:

٤٥ في مصر والسودان

٣٧/٥ قطعة ومعلق الإلزام

٩٠ في البلاد العربية حسب اتفاق البريد

٧٥ في البلاد الخارجة عن اتفاق البريد

ثمن النسخة ١٥ مليماً

قيس ولبنى

لعل الرثاء من دون فنون الشعر هو الباب الذي تقف أمامه العاطفة الصادقة مترددة حيرى ... يستهويها إليه أن الحزن لا تتجلى روعته إلا في ديباجته الجزلة ، ويبعدها عنه أن صدق العاطفة قد لا يتسق وتكلف الوزن . وربما لا تستسيغ بعض النفوس الحساسة كل لا تعرف فيه الدموع إلا طبقاً لأحكام القافية ... ولكن الأستاذ عزيز أباظة ولج هذا الباب تقدم نابغة ، تحدوه عاطفة لا شك في صدقها ولا ريب في إخلاصها ؛ فقرأنا له « أنات حائرة » وشاركناه آلامه وأحزانه ، ونسينا — من أجلها ودون أن نخسر شيئاً — معايير الشعر وموازينه ، وغفرنا قليلاً من بعض شعراء هذه الأيام الذين ياهرونا بإرانيهم وحدائهم ...

ثم رأينا مسرحية « قيس ولبنى » ... كتبها قبل « أنات حائرة » أم بعدها ؟ ... متشابهان ! — أما وقد خرج الأستاذ عزيز من الانفراجات النفسية إلى الحديث عن غيره — أم لعله يختفي وراء قيس — فلا حرج علينا من أن نعود إلى معايير الشعر وموازينه ... وبالأخص لأنه اختار موضوعاً سبقه إليه شوقي ، وهو لا يزال يسمى — بحق أو بغير حق — أمير الشعراء . والشعر شوقي روعة ورنة وتأثير تأسر — ولو إلى حين — آذان المستمعين . فما دام شوقي قد عالج هذا الموضوع — إذ أن « قيس وليلى » صورة أخرى من « مجنون ليلى » — فما الذي يحمله إذا لم يرد أن يساويه في الأقل ... ولا أظن أن الأستاذ عزيز قصد أن يعارض شوقي أو يجاريه . أفما كان الأجدر به إذن أن يختار موضوعاً جديداً لا يلحق فيه — رغم أنوفنا — شبح شوقي ، ويفسد علينا انتباهنا إلى جمال الشعر الذي يلقى علينا ؟ أمرٌ هذا هو السبب في أننا لم نهتز كثيراً لأبيات الأستاذ عزيز ؟ وإذا استثنينا بعض أبيات قليلة تفتحت آذاننا فلا نغالي إذا قلنا إن مسرحيته أقرب إلى النظم منها إلى الشعر .

وكذلك لم تثبت قدمه في فن القصة ثبوت التمكن الخبير ، فالفصل الأول جميل بجوه الشعري وعواطفه الجامحة ، وأحداثه التي أعدتنا فيه للانتقال إلى دنيا العشق بحرارتها وأوهامها ، وإذا بنا نهاجم في الفصل الثاني بمأساة منزلية تردنا إلى حياتنا الواقعية ، حياة كل يوم ، وكل دار ، وكل عصر ، مأساة الحماة وكنتها ... فنسينا ربات الشعر ودخلنا إلى أشقة ربات الخدور ... ولم يجئ الفصل الثاني … المسرحية إذ رجع فيه المؤلف — دون … — بين قيس وقيس ... شخصيتان متعاقبتان … وكذا تهيم أعيننا بالطول ... وما زال … وما هنالك من الجن ، و« قيس الثاني » … حتى لو جيء لها برجال الإسعاف لا … يدانون ... ولكننا — ولا نراني — لا ننكر أن بعض مواقف قيس هزت قلوبنا واستطاع الأستاذ عزيز أن يسمرنا في مقاعدنا واجمين مطمئنين غير قلقين ، بل سمعنا بعض السيدات يبكين من أعماقهن ، ورأينا المناديل في أيدي بعض الرجال ...

أما الأستاذ فتوح نشاطي فقد أخرج المسرحية في يسر وبعد عن التكلف يلتئم وروح شعرها . ولكننا نعيب عليه إسرافه في تنوع الملابس تنوعاً زاد على الحد المعقول ، وولوعه « باللوحات الحية » التي ذكرتنا بمتاحف الشمع وحفلات الجمعيات الخيرية . فكثيراً ما نجد الواقفين على المسرح في أماكنهم كأنهم في سبات النوم ... ولا نبالغ إذا قلنا إننا رأينا ظهور بعض الممثلين أكثر مما رأينا وجوههم ...

أما علام فقد عاد إلى قيس وعاد قيس إليه ، وعدنا نحن إلى رؤيته يحترق ويتوجع ، ويضرب صدره ، ويبسط راحتيه ، ويشتد على صديق ، ويجود ويلين ، ويتأوه ويبكي حتى لا ندرى أجعلنا علام نرثى لقيس أم جعلنا قيس نرثى لعلام ... وكذلك فردوس حسن ، كانت في الفصول الأولى لا بأس بها ثم انطفأت في الفصل الأخير — ولعله من التعب! — فحبذا لو استيقظت فيه قليلا وخاصة أنها تعود فيه إلى الحب .

وبعد — فإننا نرجو أن تكون هذه المسرحية أول الغيث ، وأن يزيد الأستاذ عزيز من شعوره لتزداد حياته وتقديراً . ولا جدال في أن المسرحية قد نجحت ، وأن الفرقة القومية تستحق كل تهنئة . ولكننا نرجو بها أن نطمئن لهذا النجاح فهو خداع ، إذ ليس أسهل في مصر من نجاح الفارهات والمهرجات ، وليس أسهل على ممثلينا من الحركات المصطنعة والأصوات المتكلفة ، والإلقاء المنطلق عن الفم ، وقد يغتفر كل ذلك في مثل هذه المسرحيات الغرامية الشعرية ، ولكنه خطر كل الخطورة في المسرحيات النثرية الفنية .

يحيى

هو ذا المختار

المختار — [illegible] اقرأ ، [illegible] مقالة تفيد كل رجل وكل امرأة .

المختار — يطلعك على عجائب دواء جديد ، يفوق كل دواء آخر كشف في مقاومة أصناف معينة من الميكروبات ، متاح الآن لبعض القوات المسلحة ، ومن المرجح أن يتاح للمدنيين بعد الحرب سلاح جديد في كفاح المرض .

المختار — يأتيك بكتاب « التشكلات عن كريمات » موجزاً في ٣٦ صفحة تفاصيل كأنها منقولة بريشة رسام لمآثر البطولة في القتال في الفضاء . سجل فيه رسام الفن ما فيه من آيات الشجاعة والبسالة في القتال .

والمختار يحتوى ١٩ مقالة أخرى ، جديدة تعقد الصلة بينك وبين العالم ، وتبقيك مطلعاً على تيارات الحرب والحياة . فهل ظفرت بنسختك ؟

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — شارع الكرداسي رقم ٩ بعابدين — مصر